تاريخ استلام المقال: ٢٠٢٥/٥/١٠ تاريخ قبول المقال: ٢٠٢٥/٦/١٧

Magical realism and its impact on the narrative structure in Youssef Harsha's novel "The Black Soul"

Alireza Perizan [*١], Ati abyat[٢], Salad Salamat[٣]

١. Master's student in Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran

al-perizan@stu.scu.ac.ir

٢. Associate Professor of Arabic Language and Literature, Farhangian University, Tehran, Iran

٣. Master's student in Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran

Abstract

Magical realism is a significant narrative trend in contemporary literature, blending reality with supernatural elements and breaking the boundaries between the ordinary and the extraordinary. It presents unusual events within daily life, enriching artistic expression and creating a narrative that merges reality, illusion, possibility, and impossibility. This allows flexible movement between worlds, offering a fresh perspective on reality. This study examines The Black Spirit by Youssef Harsha as a clear example of magical realism. It analyzes the novel's use of elements such as illusion, myth, magic, cloning, immersion, and exaggeration, showing how these build a world neither fully realistic nor entirely fantastical. The research adopts a descriptive-analytical method to trace and examine these features within the novel's broader context, aiming to understand how its world is constructed through magical realism. Findings indicate that The Black Spirit integrates magical realism by embedding supernatural aspects like magic and myth naturally within everyday life. The novel uses cloning through repeated scenes with slight changes, reflecting time's complexity and overlapping dimensions. Exaggeration enhances mystery and wonder, while fantasy and illusion merge with reality to produce a narrative shifting between the possible and impossible. This fusion adds psychological and cultural depth, offering a distinctive reimagining of reality.

Keywords: Narrative structure, magical realism, "The Black Soul", Youssef Harsha.

الواقعية السحرية وأثرها في البنية السردية في رواية "الروح السوداء" ليوسف حرشة

علي رضا پريزن*[١]، عاطي عبيات[٢]، سجاد سلامات[٣]

١. طالب ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران

al-perizan@stu.scu.ac.ir

٢. أستاذ مشارك في قسم تعليم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنجيان، طهران، إيران

٣. طالب ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران

الملخص

الواقعية السحرية تمثل اتجاهاً سردياً مهماً في الأدب المعاصر، حيث تدمج بين الواقع والعناصر الخارقة بشكل طبيعي داخل النص، ما يكسر الحواجز بين العادي والعجائبي. تميز هذه الواقعية بتقديم الأحداث الغريبة ضمن إطار الحياة اليومية، مما يضيف عمقاً وتنوعاً للتعبير الفني ويخلق بنية سردية تجمع بين الواقع والوهم والممكن والمستحيل، فتُتيح تنقلاً مرناً بين العوالم المختلفة وتعكس رؤية جديدة للواقع. يركز هذا البحث على دراسة رواية "الروح السوداء" للكاتب يوسف حرشة، بوصفها مثالاً بارزاً لتطبيق تقنيات الواقعية السحرية. ويهدف البحث إلى تحليل هذه التقنيات كما تظهر في الرواية، من خلال العناصر التالية: الوهم والخيال، الأسطورة، السحر، الامتساخ، الإغراق والمبالغة، وكيف تُستخدم هذه العناصر لخلق عالم سردي لا يمكن تصنيفه على أنه واقعي تماماً أو خيالي تماماً، بل يقوم على التداخل بين الاثنين. وقد تم اعتماد المنهج الوصفي – التحليلي، الذي يتيح تتبع هذه المظاهر في الرواية ووصفها، ثم تحليلها داخل السياق السردي العام، بهدف فهم الطريقة التي يُبنى بها عالم الرواية وفق منطق الواقعية السحرية. أظهرت الدراسة أن رواية "الروح السوداء" توظف الواقعية السحرية بمهارة، حيث تمزج بين الواقع والعناصر الخارقة كالسحر والأسطورة بشكل طبيعي داخل الحياة اليومية. تعتمد الرواية على تقنية الامتساخ بتكرار المشاهد مع اختلافات بسيطة، ما يعكس تعقيد الزمن وتداخل الأبعاد. كما تستخدم المبالغة لتعميق الغموض والدهشة، وتدمج الخيال والوهم مع الواقع لتخلق عالماً سردياً يتنقل بين الممكن والمستحيل، مما يبرز بعداً نفسياً وثقافياً يعيد تصور الواقع بأسلوب مميز.

الكلمات الرئيسة: البنية السردية، الواقعية السحرية، "الروح السوداء"، يوسف حرشة.

١. المقدمة

تُعدّ الواقعية السحرية من الاتجاهات السردية المتميزة التي ظهرت في القرن العشرين، لا سيما في أدب أمريكا اللاتينية، قبل أن تنتقل وتتجذّر في تجارب أدبية متعددة حول العالم، ومن بينها الأدب العربي الحديث. وقد نشأت بوصفها ردّ فعل على النزعة الواقعية التقليدية، التي اكتفت بنقل الواقع كما هو، متوقفة عند مستوياته السطحية، من دون النفاذ إلى طبقاته الرمزية أو أبعاده الغيبية والغرائبية. فجاءت الواقعية السحرية لتطرح رؤية مغايرة تمزج بين العالم الواقعي والخيال الأسطوري أو السحري، حيث تُقدَّم العناصر الخارقة كجزء من الحياة اليومية، لا تُثير الدهشة داخل النص، بل تنسجم مع بنية السرد بوصفها طبيعية ومألوفة في سياقها الفني. ويُنظر إلى هذا الاتجاه بوصفه أداة فنية تتيح للكاتب مقاربة قضايا وجودية، اجتماعية، أو نفسية، عبر لغة موارية تقوم على الرمز، والتخييل، والمفارقة.

وتؤدي الخلفية الثقافية دوراً محورياً في بناء هذا النوع من السرد، إذ تُسهم المعتقدات الشعبية، والأساطير، والميثولوجيا المحلية في تشكيل العالم الروائي، مما يمنحه هوية سردية مميزة تنبع من البيئة التي ينتمي إليها النص، وتعكس رؤيته للواقع والوجود. وتأتي رواية "الروح السوداء" للروائي يوسف حرشة ضمن هذا السياق السردي، إذ تنتمي إلى بيئة تتناغم مع أجواء الواقعية السحرية، بما تحمله من طابع غرائبي ومسارات حكائية غير مألوفة، تضع القارئ في حالة دائمة من الترقب والدهشة، وتفتح أمامه آفاقاً متعددة للتأويل والفهم. وانطلاقاً من هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلى تحليل مظاهر الواقعية السحرية وتقنياتها الرئيسة كما تتجلّى في هذه الرواية، من خلال دراسة عناصر: الخيال والوهم، الأسطورة، السحر، الامتساخ، الإغراق والمبالغة، بهدف الكشف عن الوظائف الفنية والدلالية لهذه العناصر في بناء النص. ويُعتمد لتحقيق ذلك على منهج الوصفي- التحليلي يتتبّع هذه التقنيات في سياقها السردي والفني.

في هذا البحث سوف نحاول أن نجيب عن السؤالين التاليين:

ما أبرز عناصر الواقعية السحرية التي استخدمها يوسف حرشة في رواية "الروح السوداء"؟

كيف تُستخدم تقنيات الإغراق والمبالغة في رواية "الروح السوداء" لتعزيز جو الواقعية السحرية وتعميق شعور القارئ بالغموض؟

١-١. خلفية البحث

تناولت العديد من الدراسات الأدبية موضوع الواقعية السحرية في السرد العربي، إذ سعى باحثون كثر إلى استكشاف حضور هذه التقنية وأثرها في تشكيل العالم الروائي أو الشعري. من بين هذه الدراسات:

ما قدّمه رضا ناظميان ويسرا شادمان في بحثهما المعنون: «الواقعية السحرية في خماسية مدن الملح لعبد الرحمن منيف»، والمنشور في مجلة إضاءات نقدية (٢٠١٨م). تناول الباحثان استخدام تقنية الواقعية السحرية في هذه السلسلة الروائية التي ترصد التحولات الاجتماعية والسياسية في منطقة الخليج الفارسي إبان فترة التحديث، حيث درسا كيفية دمج الواقع والخيال داخل النص، مُبيّنين أن الخيال يُستخدم كأداة للتعبير عن التوترات والانتقادات الاجتماعية والتاريخية التي تواجه الأفراد والمجتمعات آنذاك. وقد توصّلا إلى أن هذه التقنية مكّنت الكاتب من تقديم صورة أعمق للواقع من خلال إبراز البُعد الإنساني والعاطفي، إلى جانب التعليق على قضايا كالتغيير الاجتماعي، والهوية، وصراع السلطة.

كذلك نجد دراسة نعيم عموري، وبروين خليلي، ومسعود باوان پوري بعنوان: «الواقعية السحرية في رواية ممر الفئران لأحمد خالد توفيق»، المنشورة في مجلة دراسات في السردانية العربية بجامعة الخوارزمي (٢٠٢١م). ركّز الباحثون على تحليل كيفية دمج العناصر السحرية والخيالية مع الواقع داخل الرواية، مبرزين دور هذه التقنية في تعميق التجربة الإنسانية ومعالجة موضوعات الألم، والوحدة، والهروب من الواقع. وقد خلصوا إلى أن توفيق نجح في توظيف الواقعية السحرية بما يتناسب مع السياق الثقافي والاجتماعي العربي، مما أضفى على الرواية أبعادًا نفسية ووجودية مكّنت القارئ من استيعاب التحديات التي تواجهها الشخصيات.

وفي السياق ذاته، جاءت دراسة صادق البوغبيش، ورسول بلاوي، ومحمد جواد بور عابد تحت عنوان: «الواقعية السحرية في شعر سيف الرحبي (رأس المسافر أنموذجاً)»، والمنشورة في مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية (٢٠٢١م). تناول الباحثون مظاهر الواقعية السحرية في شعر سيف الرحبي، مركّزين على قصيدته "رأس المسافر" كنموذج تطبيقي. وقد بيّنوا كيف يمزج الشاعر بين الواقعي

والخيالي ليخلق عالماً شعرياً يعكس التوترات النفسية والفكرية التي يعيشها الإنسان المعاصر، موضحين تميّز الرحبي في توظيف هذه التقنية داخل الحقل الشعري.

ومن جهة أخرى، تناولت الباحثة معصومة مرعي في دراستها «تقنيات الواقعية السحرية في رواية السنيورة لخيّري شلبي»، المنشورة في مجلة التواصلية الجزائر (٢٠٢٢م). كيفية توظيف الكاتب لعناصر الواقعية السحرية في بناء عالم الرواية من خلال المزج بين الواقع، والأسطورة، والغرائبي، واعتماد شخصيات وأحداث خارقة لتمثيل الواقع الاجتماعي والسياسي. وخلصت الباحثة إلى أن الرواية تستثمر هذه التقنيات بوعي فني عميق، ما يُكسب النص طابعاً جمالياً ورمزياً يساهم في نقد الواقع وكشف تناقضاته.

كما كتب وائل فؤاد إسماعيل بحثاً بعنوان: «ملامح الواقعية السحرية في رواية شيء من سالومي للدكتورة سهير المصادفة بين النظرية والتطبيق»، نُشر في مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم (٢٠٢٥م). درس الباحث ملامح الواقعية السحرية في هذه الرواية العربية، محللاً كيفية دمج العناصر الخيالية مع الواقع، وكيفية توظيف الكاتب للرمزية والتصورات المتخيلة في معالجة القضايا الاجتماعية والثقافية المعاصرة. وقد توصّل إلى أن الواقعية السحرية في الرواية لا تقتصر على المزج بين الخيال والواقع، بل تتعداه إلى كونها وسيلة لتفسير التوترات النفسية والوجودية التي تعانيها الشخصيات.

٢. الإطار النظري

٢–١. الواقعية السحرية

الواقعية السحرية هي نمط أدبي يُمزج فيه بين عناصر الحياة الواقعية والخيال الغرائبي بطريقة سلسة وطبيعية. تُروى فيه الأحداث العجيبة أو الخارقة كما لو كانت أموراً اعتيادية، ويتعامل معها الأبطال دون دهشة أو حاجة للتفسير، مما يخلق عالماً يختلط فيه العادي بالسحري دون حواجز واضحة. الواقعية السحرية أحد المصطلحات التي «يعود أقدمها إلى منتصف القرن التاسع عشر، حقبة الرأسمالية الصناعية، الواقعية الكلاسيكية، الواقعية التعبيرية وبرغم اختصاص كل واقعية من هذه الواقعيات بملمح متميّز فإنها تتفق جميعا في فهمها الإيدولوجي للواقع» (الغانمي، ٢٠٠٤م: ١٣٣). لقد ساهم عاملان رئيسيان في نشوء الواقعية السحرية

في أدب أمريكا اللاتينية، كان أحدهما ارتباط الكُتّاب العميق بالواقع المحيط بهم، أما الآخر فتمثّل في سعيهم لمواكبة الحركات الأدبية والإبداعية العالمية. فقد شكّلت الظروف المعيشية الخاصة بهذه القارة أرضية خصبة لهذا الأسلوب، بالتوازي مع رغبة الأدباء في أن يكون لهم حضور في المشهد الأدبي العالمي. يطلق مصطلح الواقعية السحرية على «الأعمال الأدبية التي تعبر عن رؤية كونية سحرية للعالم ، رؤية لا تاريخية تنمحي فيها الحدود بين الأحياء والجماد، أو بين الثقافة والطبيعة ، حيث تكتسب الأشياء والظواهر خواصا وقدرات مميزة» (فتحي، ٢٠٠٠م: ٢٦٧). وتمثل أيضاً شكلاً من أشكال السرد المعاصر الذي يتضمن وقائع عجيبة وخيالية تندمج بسلاسة ضمن مجريات الحياة اليومية. فالواقعية السحرية لا تُعد رفضاً للواقع أو ابتعاداً عنه، بل هي «إثراء له وذلك بالسماح بإدخال عنصر جدلي في بنيتها سعيا إلى تكوين واقع جديد تتشابك فيه عدة عناصر معقولة ولا معقولة منطقية ولا منطقية، بحيث تندمج عناصر الواقع مع العناصر الخيالية المتمثلة في السحر والخوارق والأساطير والحلم والفانتازي» (سعد عيسي، ٢٠١٢م: ٣).

يتجسّد أسلوب الواقعية السحرية في «سرد أحداث ووقائع غير عادية أو خارقة في ثنايا أحداث مغرقة في الواقعية، وفي التفاصيل العادية بحيث تبدو وكأنها جزء لا يتجزأ من الواقع اليومي المعاش للشخصيات» (البطولي، ٢٠٠٥م: ٢٦٢). ويحتاج هذا النوع من الأدب إلى «كاتب مبدع لديه معرفة بجماليات الرواية الحديثة التي لا تعتمد فقط على السرد المباشر وعناصر الرواية التقليدية، بل لا بد له من دراية بالتحليل النفسي بالإضافة إلي أن الاعتماد علي الجماليات الحديثة للرواية في إعطاء أهمية كبرى للقالب والشكل والأسطورة ومصادر التراث الأخري في مناحي الخلق المختلفة» (بدر يوسف، ٢٠٠٦م: ٤٤). تفردت الواقعية السحرية عن باقي المدارس الأدبية بخصائص ومميزات جعلتها مميزة، ومن أبرزها: «تتأسس على التوازن الدقيق بين عنصرين أساسيين هما عنصر الواقع وعنصر الفانتازي» (أبو أحمد، ٢٠٠٨م: ٢٤٢). بمعنى أن الواقع السحري لا يندمج بالكامل في الخيال أو في الواقع، بل يتعايش معهما في تناغم جنباً إلى جنب. تتميز الواقعية السحرية «بوقع أحداث غريبة ومستحيلة في قصة تميل أحداثها الأخرى إلى الواقعية» (لودج، ٢٠٠٢م: ١٣١). أي أنها تعرض لنا وقائع واقعية ولكن ضمن إطار يتداخل فيه الخيال مع أحداث غير قابلة للتحقق. وهي أحد الأساليب التعبيرية الحديثة في الأدب، وتعد نتاجاً للتجريب الروائي المستمر.

٢-٢. ملخص الرواية

رواية "الروح السوداء" ليوسف حرشة تُعد نموذجاً بارزاً للأدب الذي يدمج بين الواقعية والسحرية، حيث تنسج عالماً يمتزج فيه الواقع اليومي بالعناصر الخارقة بطريقة عضوية تدفع القارئ إلى التساؤل عن حدود الحقيقة والخيال. تدور أحداث الرواية حول طفل يعيش في منزل قديم يسكنه الظلال والأرواح، ليكتشف تدريجياً أن المنزل ليس مجرد مبنى، بل بوابة لعالم غامض يختبر من خلاله تحولاً وجودياً من إنسان عادي إلى جزء من الظلال نفسها. تبدأ القصة بوصف واقعي لحياة الطفل في منزله المعزول على أطراف القرية، حيث تُقدّم التفاصيل الحياتية اليومية بطريقة ملموسة، مثل جدران المنزل القديمة والنوافذ المغلقة، مما يعكس عناصر الواقعية. ومع ذلك، سرعان ما تتسلل العناصر السحرية عبر الظلال المتحركة والأصوات الغامضة التي لا يسمعها سوى الطفل، لتمهد الطريق لصراعه مع القوى الخفية التي تسكن المنزل. هذا المزج بين الواقعي والسحري يُبرز كيف أن الخوف والغموض ليسا مجرد تخيلات، بل جزءاً من حقيقة أعمق يكتشفها البطل. الشخصية الرئيسية في الرواية، الطفل الذي لا يُذكر اسمه، تمثل الإنسان الباحث عن الهوية في مواجهة المجهول. تتحول تجربته من الخوف من الظلال إلى الاندماج معها، لتصبح الظلال امتداداً لذاته وليست مجرد كيانات خارجية.

كما تبرز شخصية "الروح السوداء"، الكيان الغامض الذي يتربص في المنزل، كتجسيد للقدر المحتوم والصراع بين القبول والرفض. هذه الشخصيات، الواقعية في مشاعرها والسحرية في وجودها، تعمق ثيمات الرواية حول المصير والانتماء. من خلال سرد شاعري وغامض، تستكشف الرواية ثيمات مثل الخوف من المجهول، والتحول الوجودي، والعلاقة بين الإنسان والقوى الخفية. العناصر السحرية، مثل الأصوات الهمسة والظلال الحية، لا تخدم فقط كأدوات لإثارة الرعب، بل كرموز للاوعي الجماعي والذاكرة المنسية. في المقابل، تظل الواقعية حاضرة في وصف التفاصيل اليومية والحوارات العائلية، مثل محاولات والدة الطفل تهدئته بأن ما يراه "مجرد خيال"، مما يعكس التناقض بين الإدراك البشري والحقيقة الخفية. في النهاية، تقدم "الروح السوداء" رؤية فلسفية للوجود تختزل فيها الواقعية السحرية حدود العالمين المادي والروحي. الرواية لا تُظهر الظلال كقوى شريرة، بل كجزء من دورة الوجود الأبدية، حيث يصبح البطل نفسه جسراً بين

العالمين. هذا التحول من الضحية إلى الحارس، ومن الإنسان إلى الكيان الماورائي، يُبرز كيف أن السحرية في الرواية ليست هروباً من الواقع، بل وسيلة لفهم أعمق لطبيعة الذات والكون.

٣. الإطار التحليلي

٣–١. الخيال والوهم

في الواقعية السحرية، يُستخدم الوهم والخيال كوسيلة لخلخلة الواقع المألوف وإدخال عناصر غير واقعية أو سحرية في سياق يومي عادي، من دون أن تُعامل هذه العناصر على أنها غريبة أو مثيرة للدهشة. يبرز في هذا السياق التوقف عند عنصرين محوريين في أسلوب الواقعية السحرية، وهما: الخيال والوهم. فالخيال، كما يُفهم من التراث النقدي، ومنه ما أشار إليه الجرجاني: «قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يشاهدها الحس المشترك» (الجرجاني، ٢٠٠٧م: ٩٧). ورد في لسان العرب «الخيال في المنام صورة تماثاه وربّما مرّ بك الظل فهو خيال» (إبن منظور، ١٩٩٤م: ١٩٣). تقوم الرواية ذات الطابع العجائبي على تصوّر فنيّ خاص يجعل من الأحداث الخارقة جزءاً من الواقع السردي، إذ تُبنى هذه الرؤية على دمج غير المألوف في اليومي دون كسر منطق الواقع الظاهري. «النظرية العجائبية في الرواية استندت إلى مسلمة تخص الفن الروائي نفسه الذي يتميز بامتزاج جُرعتي الخيال والواقع فيه بشكل التباسي، تضيع فيه غالباً الحدود بينهما وينبغي أن هذا الالتباس تضخم كتلة هلامية من الشك واللايقين» (سعد داحس، ٢٠١٦م: ٢٠١). في النص التالي من الرواية يظهر بوضوح تداخل الخيال والوهم مع الواقع حيث تحاك تفاصيل الحياة اليومية في إطار غامض ومليء بالعناصر غير المنطقية:

«عندما كنت في السادسة من عمري، لم أكن أفهم كثيرا عن العالم من حولي، لكنني كنت أشعر أن هناك شيئًا غير عادي في منزلي. كان يبدو مثل أي منزل آخر، ولكنه كان مختلفًا ، مليئا بالظلال التي لا تفسرها الشمس ولا الضوء. كان الليل هو الوقت الذي يتحول فيه كل شيء إلى شيء آخر. أذكر أنني كنت أستيقظ في منتصف الليل على أصوات خافتة، مثل همسات بعيدًا في الممرات المظلمة. ولكن عندما كنت أتسلل من سريري لأكتشف مصدر هذه الأصوات، لم أكن أرى سوى الظلام» (حرشة، ٢٠٢٤م: ١٦).

في هذا المقطع، تتجلى ملامح الواقعية السحرية من خلال تداخل الخيال بالواقع وتحوّل الوهم إلى عنصر حقيقي داخل التجربة السردية. يبدأ السارد بوصف طفولته في منزل يبدو عاديًا، لكنه سرعان ما يكشف عن طابعه الغريب عبر إشارات إلى ظلال "لا تفسرها الشمس ولا الضوء"، وهو ما يعكس وجود عناصر خارقة للطبيعة تتعايش بهدوء داخل إطار الحياة اليومية. يتعزز هذا التداخل عندما يصف الطفل الأصوات الخافتة في الممرات، والتي لا يجد لها تفسيرًا حين يتحقق من وجودها، ما يخلق شعوراً دائماً بعدم اليقين ويجعل القارئ يتأرجح بين الواقع والوهم. الليل في هذا النص لا يمثل فقط غياب الضوء، بل يتحول إلى لحظة سحرية تنقلب فيها الأشياء إلى "شيء آخر"، وهو ما يعمق الإحساس بعالم خفي يسكن التفاصيل اليومية. من خلال هذه العناصر، يصبح الخيال ليس مجرد هروب من الواقع، بل وسيلة لفهمه وتفسيره بطرق تتجاوز المنطق، وهو ما يشكل جوهر الواقعية السحرية في النص. وفي النص الآتي من الرواية يظهر الوهم والخيال من خلال أصوات غامضة وظلال ناطقة، تُربك وعي الشخصية وتفصلها عن الواقع:

«بدأت الأصوات تصبح أكثر وضوحًا ، وكان بعضها يبدو وكأنه يأتي من أعماق الماضي، أصواتا غير بشرية، كأنها صدى لآلاف السنين. كنت أسمع همسات وأصواتًا من أماكن بعيدة، تتداخل مع أفكار حاضرة وأخرى قديمة. بعضها كان يهدئني، وبعضها الآخر كان يعصف بذهني، يعيد تشكيله مرة أخرى. الظلال أصبحت تتحدث الآن بلغة لا أستطيع فهمها تمامًا، ولكنني شعرت بأنها تعني شيئًا مهما كان الصوت الذي يتنقل بيني وبين هذا العالم هو الصوت ذاته الذي مر به كل من دخله قبلي. كان ذلك الصوت يتسلل إلى أعماق روحي، ويزرع في فكرةً ثابتة: "أنت هنا الآن، جزء منا، ولن تعود كما كنت» *(المصدر نفسه: ٤٥)*.

يتجسد الخيال والوهم في هذا المقطع بشكل عميق ومكثف، حيث تتحول الأصوات الغامضة إلى كائنات لها حضور يتجاوز الواقع المألوف. الأصوات لا تأتي من مكان معروف، بل من "أعماق الماضي"، وتُوصف بأنها "غير بشرية"، مما يمنحها بعداً وهمياً يخترق حدود الزمن والمنطق. الوهم يتسلل إلى وعي الشخصية حين تتداخل هذه الأصوات مع أفكاره، فتخلط بين الحاضر والماضي، بين الحقيقي والمتخيل، في حالة من

التشويش الذهني المقصود. الظلال التي "تتحدث بلغة لا تُفهم" تمثل ذروة الخيال، فهي تمنح عناصر غير حية صفة الوعي والقدرة على التواصل، لكن بلغة غامضة، مما يعزز الشعور باللايقين والضياع داخل عالم وهمي. هذا التداخل يجعل الشخصية غير قادرة على التمييز بين الواقع والخيال، ويخلق عالماً تكون فيه الأصوات والظلال أكثر تأثيراً من الواقع الملموس. العبارة الختامية "أنت هنا الآن، جزء منا، ولن تعود كما كنت" تؤكد سيطرة هذا الوهم على النفس، إذ تتحول التجربة إلى اندماج كامل في عالم غير واقعي يعيد تشكيل هوية الشخصية، ويُفقدها صلتها السابقة بالواقع.

٣-٢. الأسطورة

تشكل الأسطورة عنصراً أساسياً في بناء الواقعية السحرية، وهو ما يعكس الارتباط العميق بينهما، حيث تنفلت الواقعية السحرية من حدود الواقع التقليدي وتتخطى المألوف. والأسطورة «دعوة إلى ارتياد آفاق ما فوق واقعية تعيد الإنسان إلى ينابيع الأسطورة وطفولة العقل البشري وبكارة الأشياء» (الصالح، ٢٠٠١م: ٥٤). أما في مفهومها الحديث «يطلق على أنواع القصص أو الحكايات المجهولة المنشأ، ولها علاقة بالتراث أو بالدين أو بالأحداث التاريخية، وتعد من المسلمات من غير محاولة إثبات» (مرعي، ٢٠٢٢م: ٣٩). في النص التالي تظهر الأسطورة كقوة خفية تحكم المكان وتحوّل التجربة الإنسانية إلى طقس أسطوري:

«أدركت في تلك اللحظة أن هذا ليس فقط مصير هذا المنزل، بل مصير كل من يدخل إليه. كل من يخطو داخل هذه الجدران يحتجز في شبكة الظلال، يصبح جزءًا من الأسطورة القديمة. بدأت أرى بوضوح كيف يتم جمع الأرواح، وكيف تتحول مع مرور الوقت إلى جزء من هذا الكائن الذي لا يعرف الرحمة. لكن الشيء الأكثر رعبًا كان ما شعرت به في داخلي. كنت ألاحظ أنني أبدأ في التغيير أيضًا. كان عقلي ينفتح على حقائق جديدة، كانت الصور والمشاعر تتدفق من داخلي دون أن أتمكن من إيقافها» (حرشة، ٢٠٢٤م: ٢٧).

في هذا المقطع، تُستخدم الأسطورة كإحدى تقنيات الواقعية السحرية لإضفاء بعد غامض وسحري على التجربة الإنسانية داخل الرواية. يظهر المنزل كمكان تتجاوز طبيعته المادية، ليصبح كياناً أسطورياً يحتجز الأرواح ويُحوِّل الداخلين إليه إلى جزء من أسطورة قديمة، مما يعكس كيف يمكن للأسطورة أن تبتلع الواقع وتعيد تشكيله. هذا التجسيد الأسطوري للمكان يخلق شعوراً بأن هناك قوى خفية تتحكم في مصائر الشخصيات، وهو ما يتماشى مع أسلوب الواقعية السحرية في دمج الغرائبي بالواقعي دون انفصال واضح.

التحول الداخلي الذي يشعر به الراوي من انفتاح عقله على "حقائق جديدة" إلى تدفق الصور والمشاعر من داخله يُجسد لحظة أسطورية بامتياز؛ فهي لا تخضع للمنطق أو الزمن، بل توحي بمسّ غيبي أو صحوة روحية شبيهة بتجارب الأبطال في الميثولوجيا. هنا، لا تُعامل الأسطورة كحكاية قديمة، بل كقوة معاصرة حية تؤثر على الوعي والوجود، فتُحوّل الشخصية من مجرد فرد إلى كائن مشبع بالأبعاد الرمزية. وباستخدام هذه التقنية، تُضفي الرواية طابعاً خارقاً على الواقع وتدعو القارئ إلى قبول ما هو غير عقلاني كجزء من الحقيقة، مما يُجسد جوهر الواقعية السحرية: تحويل اليومي والعادي إلى أسطوري ومفارق، دون أن يفقد ملامحه الواقعية. في المقطع التالي يشير السارد إلى الأسطورة كقوة غامضة تتحكم في مصير الشخصيات، متغلغلة في واقعهم بطريقة مؤثرة:

«في تلك اللحظة، كنت قد أصبحت متوحدًا مع الظلال تماما. لم يعد الظلام مجرد محيط من حولي، بل كان كياني نفسه، ينساب في عروقي ويتنفس في أعماق روحي. ومع ذلك، كان هناك شيء آخر في هذا المكان شيء غريب كان يراقبني بصمت، وكان يبدو أن هذه الروح السوداء هي التي تتحكم في كل شيء. لم أكن أرى هذه الروح بوضوح في البداية، لكنها كانت موجودة في كل زاوية من هذا المكان، في كل همسة في كل ظل. كانت تلاحقني في صمت، وكأنها تراقبني تدرسني، وتنتظر اللحظة المناسبة لتكشف عن نفسها. كنت أسمع همساتها في أذني صوتها منخفض، مظلم، يشبه الرياح العاتية التي تسحبك إلى أعماق المجهول» *(المصدر نفسه: ٤٠)*.

في هذا النص، تُستخدم الأسطورة كأداة رئيسية في تقنيات الواقعية السحرية، حيث يتم دمج قوى غيبية خارقة مع الواقع المادي بطريقة سلسة ومؤثرة. الشخصية تتحول إلى جزء من الأسطورة من خلال توحدها مع الظلال التي تصبح جزءاً من كيانها، مما يعكس الفكرة الأساسية في الواقعية السحرية من دمج الماورائي باليومي دون أن يتم الفصل بينهما. الروح السوداء التي تراقب الراوي دون أن تُظهر نفسها تمثل عنصراً أسطورياً يتميز بالغموض والتحكم، كما لو كانت قوة غير مرئية أو لعنة قديمة تتحكم في مصير من يطأ هذا المكان. هذه الروح التي تظهر في كل زاوية وتهدده همساتها، تُظهر كيف يمكن للأسطورة أن تتغلغل في

المكان وتصبح جزءاً من الواقع المعاش. الهمسات الموصوفة بـ"الرياح العاتية" تعزز من حضور الأسطورة باعتبارها قوة سحرية تسيطر على الواقع وتوجه الشخصيات نحو مصير محدد، مما يوضح كيف تتحول الظواهر الغامضة إلى وسائل للتحكم والمصير في إطار أسطوري. الأسطورة هنا لا تعد مجرد عنصرا خياليا، بل هي حضور حي ومؤثر يغير من واقع الشخصيات ويسير أحداث الرواية في اتجاهات غامضة وقوية.

٣-٣. السحر

يُصوَّر عالم السحر في الأدب كفضاء غني بالغموض والعجائب التي تتجاوز حدود الواقع، ويتداخل مع الحياة اليومية بأسلوب فريد. وفي أدب الواقعية السحرية، لا يُفهم السحر بمعناه التقليدي المرتبط بالتعاويذ والطلسمات أو التحكم في العالم، بل يتمثل في كسر القيود الواقعية من خلال إدماج عناصر خيالية وخارقة في سياق واقعي ومألوف بطريقة تبدو طبيعية وغير مثيرة للدهشة بالنسبة للقارئ. «فالواقعي السحري لا يحاول أن ينسخ كما يفعل الواقعيون أو يجرح الواقع كما يفعل السيرياليون، وإنما يحاول أن يقتنص السرّ الذي ينبض في الأشياء» (أبو أحمد، ٢٠٠٨م: ٤٣). ومن المنظور الأدبي، يُعبّر مصطلح السحر عن «خرق حدود العالم الواقع واستخدام العناصر الماورائية الخارقة العادة ضمن حاصر الواقعية والمألوفة استخداماً طبيعياً لا يفاجيء به القاريء» (ناظميان، وشادمان، ٢٠١٨م: ١١٢). يشير الروائي في هذا النص إلى تداخل العادي بالعجائبي من خلال تصوير الظلال ككائنات حية، موظفاً السحر كآلية من آليات الواقعية السحرية لكشف القلق والخوف الدفين داخل النفس الإنسانية، وللتأكيد على أن الواقع يحمل في طياته ما يتجاوز المألوف ويفلت من التفسير العقلاني:

«وفي تلك الليلة، حينما أصبحت الأمور أكثر غرابة، شعرت بشيء لم أستطع تجاهله. كنت جالساً في غرفتي عيون مفتوحة على آخرها، أراقب الظلال التي ترقص على الجدران. كانت تتحرك ببطء، تتنقل بين الأثاث وكأنها جزء من الهواء نفسه. لكن ما أثار رعبا عميقا في قلبي كان عندما رأيت الظل يتوقف فجأة، ويبدأ بالتحول إلى شكل مختلف، كأنما أصبح كائنا حيا يتنفس» (حرشة، ٢٠٢٤م: ١٨).

يتضح في هذا النص حضور السحر كآلية رئيسية في الواقعية السحرية، حيث يندمج العادي بالعجائبي في نسيج واحد، دون أن يشعر السارد أو القارئ بانفصال بينهما. تبدأ الصورة بمشهد واقعي: غرفة، وظلال تتحرك على الجدران في ظلمة الليل. مشهد مألوف يعيشه الناس في حياتهم اليومية. غير أن الكاتب يكسر

هذا الواقع تدريجياً حين يمنح الظلال حركة ذاتية غريبة، تتحرك "وكأنها جزء من الهواء"، لتقترب من الحيز السحري. يتصاعد هذا التداخل حين يتوقف أحد الظلال فجأة ويبدأ "بالتحول إلى شكل مختلف، كأنما أصبح كائناً حياً يتنفس". هذه اللحظة تمثل ذروة الواقعية السحرية في النص؛ إذ يتحول عنصر من عناصر الواقع (الظل) إلى كائن يتسم بصفة إنسانية (التنفس) دون مقدمات أو تفسير منطقي. السارد نفسه لا يحاول تفسير الحدث، بل يتعامل معه بردة فعل إنسانية طبيعية: الشعور بالخوف العميق، لا نتيجة لغرابة الحادث، بل لكونه يلامس ما هو دفين في النفس من قلق وغموض. وظيفة هذا السحر في النص ليست لإحداث مفاجأة بقدر ما هي وسيلة لفتح أبواب العجائبي الكامن داخل اليومي والمألوف. فالظل المتحول يعكس القلق الداخلي الذي قد يسكن الإنسان في عزلة الليل، ويوحي بأن الواقع ليس دائماً مستقراً أو يمكن الوثوق به بالكامل. وهكذا يوظف الكاتب السحر كآلية لكشف وجه آخر للحياة، حيث العادي يمكن أن ينقلب إلى ما هو غير مألوف في أي لحظة، دون حاجة لمنطق أو تعليل. بهذا، يصبح النص نموذجاً لأسلوب الواقعية السحرية، التي تتعامل مع الأحداث العجائبية كجزء من نسيج الواقع، تمارس تأثيرها في النفس من دون أن تُقدم لها شروح عقلية، بل كحقائق قائمة بحد ذاتها. فالظلال التي تتحول إلى كائن حي لا تدهش السارد بقدر ما تثير فيه خوفاً داخلياً صامتاً، يؤكد أن الواقع قد يتجاوز الظاهر، ويحمل في داخله عوالم لا مرئية، تنكشف أحياناً عبر لحظات السحر. يستخدم السارد السحر في النص التالي من الرواية كآلية لدمج الواقع بالخيال، حيث تتداخل القوى الغامضة مع الوعي وتغير إدراك السارد للعالم من حوله:

«هناك، حيث كانت الظلال تتجمع أكثر من أي وقت مضى، رأيتها للمرة الأولى : شكل غير واضح، مجرد كتلة من الظلام، ملامحها لا تبرز في هذا الظلام الدامس، لكنها كانت تثير شعورًا عميقا بالخوف، شعورًا لم أختبره من قبل. أنت لم تفهم بعد، أليس كذلك؟" همست الروح السوداء بصوت خافت، ولكن كان ذلك الصوت يحمل في طياته قوة غير مرئية قوة سلبت مني القدرة على التفكير "أنت جزء من هذا

المكان " الآن. لا يمكنك الهروب. نحن جميعًا هنا لأسباب لا تعرفها بعد. كنت أسمع كلماتها، لكنها لم تكن مجرد كلمات، كانت مثل اللعنات التي تلتف حول عقلي ، تزعزع يقيني» *(المصدر نفسه: ٤١)*.

في هذا المقطع، يُظهر السحر كآلية محورية في الواقعية السحرية من خلال تقديم قوى غير مرئية تدخل في تفاعل مباشر مع الواقع. الظلال التي تتجمع بشكل غريب والروح السوداء التي تظهر كموجود غامض هي عناصر سحرية تندمج في العالم المادي، وهو ما يُعد سمة رئيسية للواقعية السحرية، حيث تُقبل هذه الظواهر الخارقة كجزء من الواقع دون استغراب أو محاولة لتفسيرها بالعقل. السحر في هذا السياق لا يُظهِر نفسه على شكل أحداث مفاجئة أو عناصر خيالية واضحة، بل ك وجود غامض يُغير من وعي السارد، فيتسرب إلى عقله ويدفعه إلى حالة من الشك والخوف. الروح السوداء في النص لا تقتصر على كونها مجرد كائن مظلم، بل تتحول إلى أداة سحرية تعيد ترتيب الإدراك العقلي وتُؤثر على أفكار السارد. الكلمات التي تنطق بها الروح، على الرغم من كونها مجرد جمل، تصبح محمولة بقوة سحرية قادرة على تحطيم يقين السارد وتغيير فهمه للمكان والزمان. هذه الكلمات تتسرب إلى عقله ك "لعنات"، مما يبرز كيف أن السحر هنا هو قوة لغوية قادرة على التأثير في الشخصية، وهي إحدى خصائص الواقعية السحرية التي لا تفصل بين اللغة والسحر. كما أن العبارة "أنت جزء من هذا المكان الآن" تكشف عن كيف أن السحر في هذا النص يُدمج السارد مع المكان، ليجعل من الظاهرة السحرية جزءاً من وجوده الشخصي. السحر هنا لا يُقدم كتهديد خارجي، بل كتحول داخلي يُعيد تشكيل هوية السارد وعلاقته بالعالم من حوله. هذا الاندماج بين السارد والمكان يمثل تجسيداً لآلية السحر في الواقعية السحرية التي لا تُفصل بين الوعي والعالم المحيط، بل تُدمجهم في حالة متشابكة ومتداخلة.

٣-٤. الامتساخ

إن الامتساخ يشكّل إحدى الركائز الفنية في سرديات الواقعية السحرية، إذ تُعد نمطاً سردياً «تتماس في شكل مضخم مع تحولات الواقع وتحوّلات النفس الانسانية وتقلباتها، إذ إن امتساخ شيء ما، هو خضوعه لتحولات تطاله من حيث الزيادة أو الإنتقاص» (حليفي، ١٤٣٠هـ : ٩٠). الامتساخ في الواقعية السحرية لا يُعد تكراراً عبثياً، بل يُمثل تقنية فنية تُربك ثبات الواقع وتعيد تشكيله من الداخل. ففي كل تكرار يتحوّل الحدث أو الكائن ليظهر بصيغة مختلفة، مما يفتح المجال أمام تعدد القراءات ويخلخل الحدود الفاصلة بين

الواقع والخيال. عبر هذا الانزياح، لا يسير الزمن في خط مستقيم، بل يتشظى في مرايا متداخلة تكشف عن طبقات غير مرئية في التجربة الإنسانية، حيث يغدو اليومي مدهشاً ومفتوحاً على العجائبي. «ظهور هذا التحوّل أو الامتساخ في الشخصيات، إنما هو ناتج عن حالات القلق والخوف والهذيانات والهلاوس التي تنتابها والواقع المرير الذي تعيشه في ظل سطوة تمعن في تهميش شعورها» (مطري، ١٤٣٧هـ : ٣٧٩). يستخدم الكاتب في النص التالي من الرواية الامتساخ كوسيلة لتجسيد التحول الوجودي الذي يذيب الحدود بين الذات والعالم:

«كانت تلك اللحظة التي شعرت فيها بأنني قد تحولت إلى شيء آخر، شيء لا أستطيع الرجوع عنه. لم يكن لدي ما أفعله سوى أن أستمر في السير إلى الأمام، لأنني لم أعد أملك القوة للرجوع. كنت جزءا من هذا المكان من هذا التاريخ من هذا اللغز الذي لا يمكن حله» (حرشة، ٢٠٢٤م: ٢٨).

في هذا المقطع، يتجلى الامتساخ بوصفه تحوّلاً داخلياً وجودياً يصيب الشخصية، لا على مستوى الجسد فقط، بل على مستوى الهوية والانتماء أيضاً. عبارة "شعرت بأنني قد تحولت إلى شيء آخر" تمثل لحظة الانفصال عن الذات الأصلية والدخول في كيان جديد، وهو جوهر الامتساخ في الواقعية السحرية: تحوّل الكائن دون تفسير منطقي، وبقبول طبيعي من قبل السارد. التحوّل هنا لا يُعالج بوصفه حدثاً خارقاً، بل كأمر طبيعي يتقبّله السارد، ما يُذيب الحدود بين الواقعي والعجائبي. كذلك، عبارات مثل "لم أعد أملك القوة للرجوع" و "كنت جزءاً من هذا المكان، من هذا التاريخ، من هذا اللغز" تدل على اندماج الكائن المتحوّل في عالم جديد، كأن الامتساخ قد ثبّت هوية جديدة لا يمكن الفكاك منها، ما يعكس الأثر العميق الذي تتركه هذه الآلية في تشكيل المعنى. يشير الكاتب في النص التالي من الرواية إلى الامتساخ كعملية تحوّل داخلي تتماهى فيها الذات مع جوانبها المظلمة التي كانت تخشاها:

«شعرت بشيء غريب، شيئًا غير مألوف في أعماقي. كنت قد بدأت أستوعب أن هذه الروح السوداء لم تكن سوى انعكاس لما كنت عليه. كانت تمثل خوفاتي، ضعفي، والماضي الذي كنت أحاول الهروب منه.

كانت هي الظلام الذي لا يمكن التخلص منه، ولكنها كانت أيضًا هي نفسي. وفي اللحظة التي أدركت فيها ذلك ، شعرت بشيء يتحطم داخل عقلي. لم أكن بحاجة للهروب بعد الآن. لم أكن بحاجة لمحاربة الظلام. لأنني كنت قد أصبحت جزءًا منه» *(المصدر نفسه: ٤٢)*.

في هذا النص، يتمظهر الامتساخ كتحوّل نفسي رمزي يتجاوز حدود الجسد ليطال أعماق الهوية. تبدأ الشخصية بشعور غامض، "شيء غير مألوف في أعماقي"، وهو ما يُمهّد للانفصال التدريجي عن الذات القديمة والدخول في كيان جديد مظلم، لكنه مألوف في الوقت ذاته كأنه الوجه الآخر للذات. الروح السوداء، بوصفها كائناً منفصلاً ومتماهياً مع السارد في آنٍ واحد، تجسد الامتساخ في أوضح صوره. إذ تمثل تلك الروح كل ما هو مكبوت: الخوف، الضعف، الماضي، لتتحول من خصم خارجي إلى صورة مرآتية للذات نفسها. الامتساخ هنا لا يكون فقط في الشكل أو السلوك، بل في الهوية: السارد يصبح ما كان يهرب منه. التحوّل لا يُقدَّم كحدث صادم، بل كوعي داخلي يتشكّل تدريجياً حتى يصل ذروته في عبارة "لأنني كنت قد أصبحت جزءًا منه". هذه الجملة تحسم فعل الامتساخ وتؤكد اكتماله: لم يعد هناك فصل بين الذات و"الظلام"، بل وحدة جديدة نشأت من خلال هذا التداخل. ما يميز هذا الامتساخ كآلية واقعية سحرية هو أنه لا يُناقش باعتباره غير طبيعي أو غريب، بل يُقدَّم كتحوّل منطقي داخل عالم النص، حيث تتماهى النفس مع رموزها وتتحوّل إلى ما يعكس حقيقتها العميقة، في أجواء تُمزج فيها التجربة النفسية بالعجائبي دون تعارض.

٣-٥. الإغراق والمبالغة

يتم تصنيف الوصف إلى نوعين: الأول يعكس الواقع بصدق، بينما الثاني يتجاوز الواقع من خلال المبالغة والغلو. في خطاب الواقعية السحرية، يعد الوصف عنصراً رئيسياً يساهم في تشكيل شبكة دلالية محكمة، حيث يُستخدم كوسيلة لتضخيم وتحوير الأحداث أو الكائنات بطريقة تثير الدهشة والغرابة. «أنّ وصف أشياء فوق طبيعة تتطلب دقة شديدة فانطلاقاً من هذا الوصف في هذا الخطاب يعتمد على تصوير الشيء في حركته وسكونه ومن ثم يستغل وصف الواقعي السحري قلب المعادلة الكلاسيكية التي كانت الشخصية فيها في الدرجة الأولى فهو يجعل الشيء الموصوف هو الذي يجري عليه الحكم بالثبات أو بالحركية وغالباً ماتكون الموصوفات فوق الطبيعية حركية بينما الشخصية الواصفة ثابتة، وهو وصف الأشياء مجسمة تجعل

الواصف يختار مفرداته بدقة فيمزج الوصف بالحوار لتأكيد ما يصف» (تودوروف، ١٩٩٤م: ٦٨-٧٠). يشير الروائي في هذا النص إلى استخدام المبالغة كآلية سردية في الواقعية السحرية، حيث يضخم المشاعر والذكريات ليخلق أجواءً من الغموض والرعب الوجودي، ويبرز تداخل الواقع بالخيال داخل تجربة الشخصية:

«كان الظل يقترب مني، ولم يكن أمامي سوى خيار واحد أن أواجهه. وكلما اقترب أكثر، شعرت بشيء غريب داخل روحي، كأنني قد تغيرت بدأت أتذكر أشياء لم أتذكرها من قبل، ذكريات بعيدة أصوات قديمة. في تلك اللحظة، شعرت بأنني لست الطفل الذي كنت عليه منذ سنوات. كنت جزءًا من شيء أكبر شيء قديم، شيء لا يمكننا الهروب منه.» (حرشة، ٢٠٢٤م: ٢١).

يُجسد النص تقنية الإغراق والمبالغة بشكل بارز كأحد أدوات الواقعية السحرية التي تعزز البُعد العاطفي والرمزي للسرد، من خلال تصوير شعور السارد بتغير داخلي عميق يتعدى حدود الوعي العادي إلى حالة ميتافيزيقية مرتبطة بذاكرة جماعية وأصوات قديمة تعود فجأة إلى الحضور. يستخدم النص تعابير مكثفة مثل "شيء أكبر، شيء قديم، لا يمكن الهروب منه" ليبني إحساسًا بالغموض والرعب الوجودي، حيث تُضخم تجربة السارد ليصبح جزءًا من كيان أكبر وأقدم، مما يجعل الواقع اليومي يتماهى مع ما هو خارق للطبيعة. هذا الإغراق في الوصف والمبالغة في التعبير عن الانتماء والذاكرة تعكس قدرة الواقعية السحرية على كسر الحواجز بين الواقع والخيال، وتمكن النص من خلق جو متقلب بين الحقيقة والوهم، حيث تتحول المشاعر والذكريات إلى قوى فاعلة تعيد تشكيل الوعي وتفتح أبوابًا لتجارب متعددة الأبعاد. وهكذا، فإن هذه التقنية لا تقتصر على تجميل السرد فحسب، بل تساهم في تعميق الغموض النفسي والوجودي، وتوسيع أفق الرواية لتشمل تصورات متشابكة عن الهوية والزمان والمكان تتحدى المنطق التقليدي وتطرح رؤية سردية جديدة تتناغم مع جوهر الواقعية السحرية. يشير الكاتب في هذا النص إلى استخدام الإغراق والمبالغة كوسيلة سردية لرفع الحدث إلى مستوى أسطوري، حيث يصور التوازن بين النور والظلام كـ"رقصة كونية" و"انفجار هائل من الطاقة"، مما يعزز الطابع السحري والغموض في السرد:

«نظرت حولي، إلى الظلال والنور، إلى العالمين، إلى كل شيء قاتلت من أجله وحميته. كان الخيار واضحًا بالنسبة لي، لكنه كان محفوفا بالمخاطر. أنا لا أؤمن بالفصل، ولا أؤمن بالفوضى " قلت بصوت " ثابت أؤمن بالتوازن. لكن التوازن الحقيقي ليس في " الانفصال، بل في الوحدة التي تحترم الاختلاف. مع كلماتي، بدأ الضوء والظلام يتقارب. كان المشهد أشبه برقصة كونية، حيث لم يعد النور يعادي الظلام، ولم يعد الظلام يخشى النور. كان هناك لحظة قصيرة من السكون، ثم انفجار هائل من الطاقة، طاقة لم أشهد مثلها من قبل» *(المصدر نفسه: ٩١)*.

يعتمد النص بشكل واضح على تقنية الإغراق والمبالغة، وهي إحدى أدوات الواقعية السحرية التي تضفي على السرد بعدًا خارقًا يفوق حدود التجربة العادية. يتجلى الإغراق من خلال تصوير التفاعل بين النور والظلام ليس كمجرد ظاهرة طبيعية، بل كـ"رقصة كونية" تحمل دلالات عميقة على التوازن والوحدة بين المتناقضات. هذا التصوير المكثف والمبالغ فيه يحوّل المشهد إلى حدث أسطوري يتجاوز حدود الواقعية، حيث لا يعود الصراع بين النور والظلام مجرد مواجهة، بل يصبح انسجامًا مهيبًا يعكس فلسفة وجودية تتجاوز البساطة. المبالغة تتجلى أيضًا في وصف اللحظة النهائية التي تتوج بـ"انفجار هائل من الطاقة"، وهو تعبير يضخم من شأن الحدث ويزيد من شدته وتأثيره على القارئ. هذا الوصف المتفجر يرمز إلى قوة غير عادية تحرك السرد، وتكشف عن جانب سحري لا يخضع للمنطق التقليدي. من خلال هذه المبالغة، يخلق النص جوًا من الغموض والإثارة، حيث تصبح المشاهد أكثر حيوية وتأثيرًا، ويشعر القارئ بأنه أمام تجربة تتجاوز العادي إلى ما هو فوقي وسحري. تعمل تقنية الإغراق والمبالغة في هذا النص على إظهار الصراع بين الضوء والظلام ليس فقط على المستوى الخارجي، بل على مستوى داخلي وروحي، مما يعمق البُعد السردي ويمنح الرواية قدرة على المزج بين الواقع والخيال بسلاسة تامة. بهذا الشكل، تسهم هذه التقنية في بناء بنية سردية مرنة ومتعددة الطبقات، تعكس الطبيعة المتقلبة والمعقدة للعالم الذي تصوره الواقعية السحرية.

النتائج

توصلنا من خلال دراستنا لموضوع الواقعية السحرية في الرواية إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

– تتجلى عناصر الواقعية السحرية في رواية "الروح السوداء" من خلال المزج المتقن بين الواقع والخيال، بطريقة تجعل السحر والظواهر الخارقة جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للشخصيات. استخدم يوسف حرشة التداخل بين الأسطورة والواقع، حيث تظهر الأساطير ليست كموروث بعيد، بل كجزء حي ومؤثر في مجرى الأحداث، مما يعمق البعد الثقافي للفكرة الروائية. كما وظف السحر بوصفه حقيقة طبيعية مقبولة، لا كحدث استثنائي، مما يعزز الشعور بواقعية الماورائيات داخل النص. إلى جانب ذلك، برز استخدام تقنية الامتساخ عبر تكرار مشاهد وأحداث مع تغييرات طفيفة، ما يعكس دورة الزمن وتشابك الأبعاد السردية. كما اعتمد النص لغة تصويرية غنية بالمبالغات الوصفية التي تعزز الطابع الغامض والسحري، فتخلق تجربة سردية متعددة الطبقات تمزج بين الواقع والحلم بسلاسة.

– تعتمد الرواية على تقنيات الإغراق والمبالغة لتعزيز أجواء الواقعية السحرية وإضفاء عمق على الشعور بالغموض. يتم غمر القارئ في تفاصيل دقيقة متكررة، مما يخلق إحساساً بأن هذه التفاصيل جزء لا يتجزأ من عالم الرواية، في حين تُستخدم المبالغة لتكثيف الصور والأحداث بشكل يفوق الواقع المعتاد، مثل وصف مشاهد الموت والحضور الروحي عبر تضخيم عناصرها الحسية والرمزية. لا تهدف هذه المبالغة إلى خلق حالة غير واقعية، بل إلى تعزيز الشعور بأن الظواهر الخارقة متأصلة في الحياة اليومية للشخصيات، ما يجعل القارئ يعيش حالة مستمرة من الغموض والدهشة. كما تبرز هذه التقنيات في إغراق السرد بتكرار مفصل للأحداث، مما يضاعف تأثيرها النفسي ويرفع من درجة التوتر والغموض، ويحفز القارئ على استكشاف أسرار الرواية بعمق.

– تتداخل في الرواية عناصر الخيال والوهم مع الواقع بطريقة سحرية، حيث تُدمج الظواهر الخارقة ضمن سياق الحياة اليومية. يستخدم النص الوهم والخيال لإظهار مفاهيم غير مرئية مثل الظلال والأصوات الغامضة التي تزعزع الإحساس بالواقع، وتغرق الشخصية في حالة من عدم اليقين. في هذا السياق، لا يُنظر إلى الخيال كمهرب فقط، بل كوسيلة لفهم العالم وتفسيره بطرق تتجاوز المنطق التقليدي، مما يخلق عالماً متأرجحاً بين الواقع والوهم دون تفريق واضح بينهما.

– تُستخدم الأسطورة كعنصر أساسي في تشكيل الواقع السحري للرواية، حيث تمثل قوة خفية تحكم المصير وتعيد تشكيل الواقع. لا تُعتبر الأسطورة مجرد حكايات قديمة، بل تتحول إلى قوة حية تؤثر في شخصيات الرواية وتغير مجرى حياتهم. من خلال دمج الأسطورة بالواقع اليومي، تُقدم التجربة الإنسانية على أنها متشابكة مع قوى غيبية تشكل المصير وتُغير الهوية، مما يمنح الأحداث طابعاً أسطورياً يعيد تفسير المألوف إلى ما هو مفارق وغير منطقي.

– يُقبل السحر في النص كجزء لا يتجزأ من الواقع، وليس مجرد عنصر خارق أو استثنائي، بل ظاهرة متكررة ومُعاشة. يستخدم السحر كآلية سردية تتجاوز الخطوط التقليدية للمنطق والزمان، مما يخلق فضاءً يسمح بتحول المستحيل إلى ممكن، ويجعل الغامض يوميًا، ما يضفي جمالية مميزة على النص ويجعله مختلفاً عن السرد الواقعي البحت.

– تُعد تقنية الامتساخ من الركائز الأساسية في الرواية، حيث تتحول الشخصيات داخلياً بطريقة غير منطقية إلى كيانات جديدة. لا يُنظر إلى هذا التحول كحدث خارق، بل كتطور داخلي يتجاوز الجسد ليطال الهوية والوجود. يظهر الامتساخ كتجربة وجودية تعكس الهويات المتغيرة والمركبة، حيث يتحول الفرد إلى جزء من هذا المكان الغامض، وتصبح هذه التحولات جزءاً من الواقع الذي لا يمكن تجاوزه أو إنكاره.

المصادر والمراجع

الكتب

– الغانمي، سعيد. (٢٠٠٤م). ***خزانة الحكايات الإبداع السردي والمسامرة النقدية***، بيروت: مركز الثقافي العربي.

– فتحي، إبراهيم. (٢٠٠٠م). ***معجم المصطلحات الأدبية***، القاهرة: دار شرقيات.

– سعد عيسى، فوزي. (٢٠١٢م). ***الواقعية السحرية في الرواية العربية***، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

– البطولي، ماهر. (٢٠٠٥م). ***الرواية الأم ألف ليلة والآداب العالمية***، بيروت: مكتبة الآداب.

– بدر يوسف، شوقي. (٢٠٠٦م). ***الرواية والروائيون دراسات في الرواية المصرية***، الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع.

- أبو أحمد، حامد. (٢٠٠٨م). ***في الواقعية السحرية***، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

- لودج، ديفيد. (٢٠٠٢م). ***الفن الروائي***، ترجمة ماهر البطولي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. (٢٠٠٧م). ***التعريفات***، تحقيق عادل أنور حضر، بيروت: دار المعرفة.

- إبن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٩٤م). ***لسان العرب***، ج٤، بيروت: دار صادر.

- حرشة، يوسف. (٢٠٢٤م). ***الروح السوداء***، مكتبة النور.

- الصالح، نضال. (٢٠٠١م). ***النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة***، دمشق: مكتبة اتحاد الكتاب العرب.

- حليفي، شعيب. (١٤٣٠هـ). ***شعرية الرواية الفانتاستيكية***، الجزائر: منشورات الإختلاف.

- مطري، نجلا علي. (١٤٣٧هـ). ***الواقعية السحرية في الرواية العربية***، جدة: النادي الأدبي الثقافي.

- تودوروف، تزيفتان. (١٩٩٤م). ***مدخل إلى الأدب العجائبي***، مترجم الصديق بوعلام، القاهرة: دار شرقيات.

المجلات

- سعد داحس، ناصر (٢٠١٦م). «البطل الروائي بين العجائبية والواقعية- قراءة في رواية (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي»، ***مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية***، العدد ٢١، صص ٢٠٠-٢١١.

- مرعي، معصومة (٢٠٢٢م). «تقنيات الواقعية السحرية في رواية السنيورة لخيري شلبي»، ***مجلة التواصلية الجزائر***، العدد ٣، صص ٣١- ٤٩.

- ناظميان، رضا، وشادمان، يسرا (٢٠١٨م). «الواقعية السحرية في خماسية مدن الملح لعبد الرحمن منيف»، ***مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي***، العدد ٢٩، صص ١٠٥- ١٢٦.